AL HAYAT
الحياة
الاثنين ٦ نيسان (ابريل) ١٩٩٨ الموافق ٩ ذو الحجة ١٤١٨هـ/ العدد ١٢٨١٧
AL HAYAT MONDAY 6, APRIL, 1998 ISSUE NO 12817

الذكرى الخمسون لتأسيس الاذاعة السعودية

عبدالرحمن الشبيلي *

■ منذ نصف قرن في مثل هذا اليوم من التاريخ الهجري، يوم الوقوف بعرفة، التاسع من ذي الحجة ١٣٦٨هـ (٢/١٠/١٩٤٩م) كان افتتاح دار الاذاعة اللاسلكية للمملكة العربية السعودية من مكة المكرمة (كما كانت تسمى في ذلك الوقت) وبذلك يحل اليوم «اليوبيل الذهبي» لانشائها.

وقد لا يكون العمر الزمني في حد ذاته، او وصف برامجها وتنظيمها وإمكاناتها، مسألة ذات أهمية. لكن المهم في هذه المناسبة ان الملك عبدالعزيز الذي بدأ جهاده مع مطلع هذا القرن الميلادي، لتحقيق اكبر وحدة عربية بين امارات شبه الجزيرة العربية، منذ انهيارها بعد العصور الاسلامية الاولى لم يكن مجرد قائد أو مناضل أو موحد، بل كان يحمل السلاح في يد والمصحف في الاخرى، وفي ذهنه ان ينقل المجتمع البدائي الى دولة عصرية ذات مؤسسات حديثة منفتحة على وسائل المدنية النافعة.

فقراراته المبكرة في ادخال اللاسلكي والهاتف والسيارات (١٩٢٥)، ثم إقدامه على الأخذ بوسائل النقل الجوي (١٩٤٧)، والاذاعة (١٩٤٩) وأخيراً السكك الحديدية (١٩٥٠) في مجتمع منغلق يرفض كل جديد، وينعته بالبدع المناقضة للدين، هي أمور لا ينجح في تحقيقها الا زعيم وهبه الله الحكمة والانفتاح وقراءة المستقبل.

قد لا يدرك الاخوة القراء العرب والسعوديون – ممن لم يتعرف على ما كانت عليه طبيعة مجتمع شبه الجزيرة العربية – اهمية هذه الخطوات، ويرونها عادية وبسيطة. والواقع ان كثيراً مما يتمتع به المجتمع السعودي اليوم من افتتاح على اسباب العصرية والمدنية، انما يعود الفضل فيه بعد الله الى القرار السياسي الذي اتخذه الملك عبدالعزيز في ايامه حتى صارت الامور المماثلة تقاس عليه في ما بعد.

الملك عبدالعزيز القائد، لم ينل حظه من التعليم الحديث، ولم يخرج من بلاده الا للكويت ومصر والبحرين. لكنه تبنى جلب كل ما مكنته ظروفه وعمره من وسائل النقل والاتصال، ووضع مجتمع البادية والقرية على درجات متقدمة من سلم العصرية والتحديث في زمنه. ويكفي ان نتخيل لو انه أبقى بلاده حتى وفاته (العام ١٩٥٣م) على ما كانت عليه مكتفياً بجهاده العسكري والسياسي، فلربما كانت بلاده بحاجة الى ثلاثة عقود اخرى حتى تصل الى ما وصلت اليه اليوم. ان كل وسائل المدنية الحديثة التي ادخلت الى قلب الجزيرة قديماً وحديثاً، بدءاً بما ذكر ومروراً بتعليم البنات ثم التلفزيون ثم الاقمار الصناعية ثم الانترنت، لم تمر بسهولة، ولم تدخل من دون جدل مجتمعي وجهد اقناعي من ولي الامر ومقارعة بالحجج والبراهين للتدليل على اهميتها والحاجة اليها، وان استخدامها للخير يفوق احتمال استخدامها لغيره.

صدر منذ اشهر للاستاذ عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري كتاب وثائقي يسجل انماطاً من الحوار الفكري الذي رافق ادخال اللاسلكي العام ١٩٢٥م، وهو جدل كان يتكرر مع اختلاف في الحدة مع كل تقنية جديدة.

بدأت الاذاعة السعودية في مكة المكرمة في مثل هذا اليوم من العام الهجري، وقفة عرفة قبل خمسين عاماً، وكان الهدف الرئيسي منها هو خدمة الحج، وتعريف الحجيج بمناسكه وشعائره وارشادهم لطوفه وخدماته.

ثم اتجهت الاذاعة بعد اشهر من تأسيسها لافتتاح برامج مستقلة ناطقة باللغات الرئيسية للمسلمين الاكثرية في الحج من سكان الملايو في اندونيسيا وماليزيا وسنغافورة وبروناي من الجاوة، والناطقين بالأوردو في باكستان والهند وبنغلاديش. ثم اتجهت الى الأنكليزية والفرنسية والفارسية والتركستانية وعدد من لغات افريقيا، للأكثرية والاقليات المسلمة.

وحدد الملك عبدالعزيز لابنه فيصل (الملك فيصل في ما بعد)، حينما كان نائباً لأبيه في الحجاز، أهداف الاذاعة وما ينبغي ان تنهجه في عبارات بسيطة بليغة جامعة يقول فيها (١٩٤٩/٧/١٨م): «ينتخب مدير مسؤول عن محطة الاذاعة وما يذاع فيها وعن الاعمال الادارية وتهيئة المقالات والاخبار وتدقيقها وتمحيصها وتحسين هذه البرامج وتمرين المعاونين وتدريبهم.

– يلاحظ في البرامج:

أ : نشر الأخبار الخارجية كما هي، وإنما يلاحظ عدم شتم احد أو التعريض بأحد أو المدح الذي لا محل له.

ب: يلاحظ في الاخبار الداخلية الواقع، والسكوت على ما اعتدنا السكوت عليه ونشر ما اعتدنا نشره.

جـ: ينظر فيما يمكن اذاعته من القرآن الكريم والمواعظ الدينية والمحاضرات التاريخية عن الاسلام والعرب.

وفي الستينات الميلادية أضيفت اذاعات اخرى من جوار الحرمين الشريفين: اذاعة نداء الاسلام، وإذاعة القرآن الكريم، مع اذاعة اخرى من الرياض.

وتمتلك الاذاعة السعودية في الوقت الحاضر اكثر من خمس وعشرين مرسلة اذاعية متفاوتة القوة على الموجات القصيرة والمتوسطة مستفيدة من الاتساع الجغرافي للمملكة لوضع المرسلات في اطرافها الشمالية الغربية للوصول الى دول حوض البحر المتوسط واوروبا او وضعها في اقصى الجنوب للوصول الى القرن الافريقي وهكذا. كما أقامت اكثر من عشرين محطة متوسطة صغيرة أو «اف إم» (FM) في المدن والتجمعات القروية والحضرية المتناثرة لتغطية هذه المناطق نهاراً.

وتفكر الاذاعة السعودية حالياً في بث قنوات الاذاعة مصاحبة لقنوات التلفزيون عبر الاقمار الصناعية للوصول الى انحاء العالم، والاستفادة في السنوات المقبلة من فكرة الراديو الرقمي ((Digital عبر الاقمار الصناعية وهي التقنية الاذاعية الجديدة التي تعد فتحاً قد يغني عن الاعتماد على المرسلات التقليدية على الموجات القصيرة.

ان الاذاعة نفسها هي اول جهة ينبغي ان توثق للظروف التي احاطت بنشأتها والتطورات التدريجية التي مرت بها، وان تسجل بنفسها ومن نفسها وعلى نفسها كيف كانت قبل خمسين عاماً، وان تلحق ببقية رجالاتها الاوائل لتسجل لهم ذكرياتهم عن فترة التأسيس الاولى، وما صاحبها من معوقات.

* عضو مجلس الشورى السعودي، عضو المجلس الأعلى للاعلام.